جامعــة الأزهـــر
كليــة أصــول الديــن
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

من صور التكريم الإلهى للنبى ﷺ

دكتور/رضا محمود نصار
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالشرقية

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد التاسع والعشرون، لعام ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٠/٦١٥٧

(المجلد الثانى)

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأزكى الصلوات وأتم التسليم على الهادى البشير والسراج المنير سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ورحمة الله للعالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ومن اقتفى أثره واتبع سنته إلى يوم الدين.... وبعد,,

فمع نزول أول نجم قرآنى على الصادق المصدوق -ﷺ- ومظاهر التكريم تترا وصور الإجلال والتبجيل تتوالى لخير الخلق وحبيب الحق صلوات الله وسلامه عليه.

ومهما أوتى العلماء من قوة البيان وفصاحة اللسان فإنهم يتوارون أمام قول الله تعالى لنبيه الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ومهما أفاضوا فى بيانهم فإنهم يقفون خاشعين أمام قول الله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[2].

فما من آية فى القرآن المجيد إلا وتنطق بصورة تكريمية لرسول الله -ﷺ- وحسبه القرآن أعظم تكريم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

وصور التكريم فى القرآن العظيم أكثر من أن تحصى.. وحسبى أن أحظى من هذا البحر الرائق بقطرة تملأ أفواه البشر رياً, ومن هذا البستان الزاهر اليانع بزهرة بتضوع شذاها ليعطر الكون كله, ومن هذا العقد النضيد بقلادة يتباهى بها الناس جميعاً.

إن حياة الصادق المصدوق -ﷺ- منذ ولادته وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى محاطة بالإجلال والتكريم الإلهى .

---

(1) الآية: ٤ سورة القلم .

(2) الآية: ٥ سورة الضحى.

وهذه قطرة من بحار هذا التكريم التى لا تغيض أبداً.. وومضة من سناه المتألق ونوره الذى لا يخبو.. إنه نور أضاء للناس فى حالك الظلمات قال الله تعالى ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقد أفاض القرآن المجيد فى بيان مظاهر التكريم للهادى البشير -ﷺ-..

وهذه وقفة مع بعض صور التكريم الإلهى لرسول الله -ﷺ- قصدت إليها راجياً المثوبة من الله تعالى والشفاعة يوم العرض من أكرم الورى النبى المجتبى الذى وعده ربه أنه سيرضيه ولن يسوءه فى أمته أبداً .

"اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد -ﷺ- نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى. اللهم فشفعه فى"[2] واسقنا من حوضه بيده الشريفة شربة هنيئة لانظما' بعدها أبداً ..

وصلى اللهم وسلم وبارك على خير خلقك وصفوة أنبيائك ورسلك سيدنا محمد..

---

[1] الآية ١٥, ١٦ سورة المائدة .

[2] هذا الدعاء جاء ضمن حديث رواه الترمذى: كتاب الدعوات ٥/ ٥٣١ وقال هذا حديث حسن صحيح.. ورواه الحاكم ٤٥٨/١ وقال صحيح على شرط الشيخين .

تمهيد :

لحكمة أرادها الحق سبحانه أن جعل التفاضل بين أنبيائه ورسله – صلوات الله عليهم أجمعين..

وقد صرح القرآن المجيد بهذا التفاضل فى قول الحق جل ذكره ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾[١].

وفى قول ربنا جل ثناؤه ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾[٢].

فالآيتان الكريمتان تؤكدان المفاضلة بين الأنبياء والرسل عليهم السلام وأكد الرسول الكريم –ﷺ– هذه المفاضلة فى حديثه الشريف ففى صحيح مسلم قال رسول الله –ﷺ– "**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة, وأول من ينشق عنه القبر, وأول شافع وأول مشفع**"[٣] ومع تصريحه –ﷺ– بأنه سيد ولد آدم إلا أنه – صلوات الله عليه وسلامه – نهى عن أن نفاضل بين أنبياء الله – عليهم السلام – وثبت هذا فى صحيح السنة .

من هذه الأحاديث التى نهى فيها الرسول عليه الصلاة والسلام عن المفاضلة .

١ – روى البخارى فى صحيحه عن النبى –ﷺ– قال: "**لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس بن متى**".

٢ –عن أبى هريرة –رضي الله عنه– عن النبى –ﷺ– قال: "**لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى**"[٤].

---

(١) الآية ٢٥٣ سورة البقرة .

(٢) الآية ٥٥ سورة الإسراء .

(٣) روه مسلم. ك الفضائل باب تفضيل نبينا –ﷺ– على جميع الخلائق ٤/ ١٧٨٢.

(٤) رواهما البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء باب وإن يونس لمن المرسلين ٥٤٦/٦, ٥٤٧.

٣- عن أبى هريرة قال. قال رسول الله -ﷺ -... "**لا تخيرونى على موسى....**"[١]

وفى رواية ابن الفضل فقال "**لا تفضلوا بين أنبياء الله" وفى حديث أبى سعيد "لا تخيروا بين الأنبياء**"[٢].

فهذه الأحاديث الصحيحة واضحة الدلالة فى النهى عن التفاضل بين الأنبياء لكن العلماء – أجزل الله مثوبتهم – وفقوا بين الآيتين والأحاديث حتى لايظن أحد أن ثم تعارضاً بين القرآن المجيد والسنة المطهرة .

وقد ذكر ابن كثير – رحمه الله – الجواب من وجوه:

الأول: أن هذا النهى كان قبل أن يعلم بالتفضيل .

الثانى: أن الرسول -ﷺ- قال هذا من باب التواضع .

الثالث: أن هذا نهى عن التفضيل فى حالة التخاصم والتشاجر التى تحاكموا فيها إلى الرسول -ﷺ-.. وفيها قال "**لا تخيرونى على موسى**".

الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية .

الخامس: أن مقام التفضيل ليس إليكم وإنما هو إلى الله تعالى وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به[٣].

والنهى عن التفضيل فى حالة التخاصم والتشاجر, هذا النهى له مناسبة قال فيها الرسول الكريم -ﷺ- "**لا تخيرونى على موسى**".

ومناسبة الحديث ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: **استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود, فقال المسلم والذى اصطفى محمداً -ﷺ- على العالمين, فى قسم يقسم به، فقال اليهودى والذى اصطفى موسى**

---

(١) صحيح البخارى كتاب أحاديث الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعد ٦/٥٣٧ وسيأتى الحديث بتمامه والمناسبة التى قيل فيها .

(٢) فتح البارى ٦/ ٥٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣١١ .

على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودى, فذهب اليهودى إلى النبى -ﷺ -. فأخبره الذى كان من أمره وأمر المسلم, فقال عليه الصلاة والسلام "لا تخيرونى على موسى... الحديث"(١).

ومن هنا قال العلماء بالنهى عن التفاضل فى موقف المنازعة والخصومة وذكر القاضى عياض: أن منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة, فإن الأنبياء فيها على حد واحد, إذ هى شىء واحد لايتفاضل فيه, وإنما التفاضل فى أمور أخرى(٢).

وذكر ابن حجر قال العلماء: إنما قال ذلك -ﷺ- تواضعاً إن كان قاله بعد أن أُعلِم أنه أفضل الخلق, وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال(٣).

هذا ما ذكره العلماء فى التوفيق بين الآيتين اللتين صرح فيهما بالتفضيل وبين الأحاديث التى جاء فيها النهى عن التفضيل.

وبنظرة إليها يمكن أن يكون كل واحد منها توفيقاً مقبولاً يزيل التعارض الظاهرى.

وإذا كان الرسول الكريم -ﷺ- قال هذا تواضعاً, فإن الحقيقة التى لا مناص منها هى أن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه أفضل الخلق على الإطلاق.. وصور التكريم الإلهى للنبى الكريم خير شاهد وأوضح برهان على ذلك .

وحسبنا قول الله تعالى له ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾(٤).

وهذا بيان لبعض صور التكريم والرفعة لرسول الله -ﷺ- فى القرآن المجيد.

---

(١) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعد ٥٣٧/٦.

(٢) الشفا. للقاضى عياض ١/ ٤٤١ .

(٣) فتح البارى ٦/ ٥٤٨ .

(٤) الآية ٥ سورة الضحى .

أخذ الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا برسول الله ﷺ

يتجلى التكريم الإلهى لسيدنا محمد -ﷺ- فى أن الحق سبحانه أخذ العهد والميثاق على الأنبياء من قبله أن يؤمنوا به وينصروه وهذه الصورة من التكريم يقف الإنسان أمامها إجلالاً وتقديراً لمقامه -ﷺ- .

يقول الحق سبحانه ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾[١].

لقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء جميعاً أن يؤمنوا برسول الله -ﷺ- وينصروه ويتبعوه إن هم أدركوه .

يذكر الرازى فى بيان الآية الكريمة :

أنه تعالى أخذ الميثاق منهم فى أن يصدق بعضهم بعضاً, وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاووس رحمهم الله, وقيل: إن الميثاق هذا مختص بمحمد -ﷺ- وهو مروى عن على وابن عباس وقتادة والسدى رضوان الله عليهم, واحتج أصحاب هذا القول على صحته من وجوه:

الأول: أن قول الله تعالى ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ**﴾ يشعر بأن آخذ الميثاق هو الله تعالى, والمأخوذ منهم هم النبيون, فليس فى الآية ذكر الأمة فلم يحسن صرف الميثاق إلى الأمة..

الثانى: ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال: "**لقد جئتكم بها بيضاء نقية أما والله لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا أن يتبعنى**".

---

[١] الآية ٨١ سورة آل عمران .

الثالث: ما نقل عن على -رضي الله عنه- أنه قال: **إن الله تعالى بعث آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء - عليهم السلام - إلا أخذ عليهم العهد لئن بعث محمد -ﷺ- وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه, وهذا يقوى نصرة هذا القول به**[١].

أى أن الله تعالى أخذ العهد على الأنبياء قبل سيدنا محمد -ﷺ- أن يؤمنوا به وينصروه إن هم أدركوه .

وثم احتمال آخر فى المراد بأخذ الميثاق على الأنبياء وهو: أن المراد من الآية أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بعث محمد -ﷺ- أن يؤمنوا به وأن ينصروه, وهذا قول كثير من العلماء, واللفظ محتمل له.. واحتجوا على صحته بوجوه .

الأول: ما ذكره أبو مسلم الأصفهانى: أن ظاهر الآية يدل على أن الذين أخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الإيمان بمحمد-ﷺ- عند مبعثه, وكل الأنبياء عليهم السلام يكونون عند مبعث محمد-ﷺ- من زمرة الأموات, والميت لا يكون مكلفاً, فلما كان الذين أخذ الميثاق عليهم يجب عليهم الإيمان بمحمد -ﷺ- عند مبعثه ولا يمكن إيجاب الإيمان على الأنبياء عند مبعث محمد -ﷺ- علمنا أن الذين أخذ الميثاق عليهم ليسوا هم الأنبياء بل هم أمم الأنبياء.., ومما يؤكد هذا أن الله تعالى حكم على الذين أخذ عليهم الميثاق إنهم لو تولوا لكانوا فاسقين, وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء عليهم السلام, وإنما يليق بالأمم..

أجاب القفال - رحمه الله - فقال: لم لا يجوز أن يكون المراد من الآية أن الأنبياء لو كانوا فى الحياة لوجب عليهم الإيمان بمحمد -ﷺ- ونظيره قوله تعالى ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[٢] وقد علم الله تعالى أنه لا يشرك قط, ولكن خرج

---

[١] التفسير الكبير ٨/ ١١٥ .

[٢] الآية ٦٥ سورة الزمر .

الكلام على سبيل التقدير والفرض فكذا ههنا, وقال تعالى فى صفة الملائكة ﴿**وَمَن يَقُلْ مِنهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾[1] مع أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لا يسبقونه بالقول, وبأنهم يخافون ربهم ويفعلون ما يؤمرون, فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير.. ونقول: إنه سماهم فاسقين على تقدير المتولى فإن اسم الفسق ليس أقبح من اسم الشرك .

الثانى: أن المقصود من الآية أن يؤمن الذين كانوا فى زمان الرسول –ﷺ– وإذا كان الميثاق مأخوذاً عليهم كان ذلك أبلغ فى تحصيل هذا المقصود من أن يكون مأخوذاً على الأنبياء عليهم السلام.

وقد أجيب عن ذلك بأن درجات الأنبياء عليهم السلام أعلى وأشرف من درجات الأمم, فإذا دلت هذه الآية على أن الله تعالى أوجب على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد –ﷺ– لو كانوا فى الأحياء, وأنهم لو تركوا ذلك لصاروا من زمرة الفاسقين, فلأن يكون الإيمان بمحمد–ﷺ– واجباً على أممهم لو كان ذلك أولى, فكان صرف الميثاق إلى الأنبياء أقوى فى تحصيل المطلوب من هذا الوجه.

الثالث: ما روى عن ابن عباس أنه قيل له إن أصحاب عبدالله بن مسعود يقرؤن ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ**﴾ ونحن نقرأ ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ**﴾ فقال إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم .

الرابع: أن هذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾[2].

---

[1] الآية ٢٩ سورة الأنبياء .

[2] الآية ٤٠ سورة البقرة .

وبقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾[1].. فهذا جملة ما قيل فى هذا الموضوع, والله أعلم بمراده[2].

عرض الإمام الرازى الاحتمالين الواردين فى المراد من قوله سبحانه "**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ** ".

وأرى أن احتمال أخذ الميثاق على النبيين لا على أممهم وذلك لما يلى:

١- أخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة أن رسول الله -ﷺ- قال: "**والذى نفس محمد بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى**"[3].

يقول أبو نعيم: ومن فضائله -ﷺ- أخذ الله الميثاق على جميع أنبيائه إن جاءهم رسول الله آمنوا به ونصروه, فلم يكن ليدرك أحد منهم الرسول إلا وجب عليه الإيمان به والنصرة له, لأخذ الميثاق منه, فجعلهم كلهم أتباعاً له يلزمهم الانقياد والطاعة له, لو أدركوه[4].

٢- أن الآية صريحة فى أن أخذ الميثاق على الأنبياء, وليس فيها إشارة إلى أممهم. ومن ثم فالأمم لم يؤخذ عليها الميثاق, وليس ثم ما يدعو إلى هذا التكلف .

٣- الآية الكريمة فيها منقبة عظيمة لسيدنا محمد -ﷺ- فالمراد من أخذ الميثاق على الأنبياء بيان مرتبته -ﷺ- مع النبيين إذا فرض أنه وجد فى عصرهم. يؤكده الحديث الشريف السالف فى حق موسى عليه السلام أنه لو كان حياً ما وسعه إلا اتباع رسول الله -ﷺ- .

وعلى هذا فإن العهد المأخوذ على الأنبياء عليهم السلام وليس على أممهم .

---

(1) الآية ١٨١ آل عمران .

(2) التفسير الكبير ٨/ ١١٦, ١١٧ .

(3) دلائل النبوة لأبى نعيم ١/ ٤٦ والحديث حسن .

(4) دلائل النبوة١/ ٤٦ .

بشارة الأنبياء بالنبى الخاتم ﷺ

من صور التكريم الإلهى للنبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه بشارة الأنبياء السابقين – عليهم السلام – ببعثته المباركة, وقد صرح القرآن المجيد بهذه البشارة.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[1].

إن الآية الكريمة من أوضح الآيات على البشارة بالنبى الخاتم –ﷺ– وقد أكد الرسول الكريم –ﷺ–. بشارة عيسى به .

روى الحاكم أن رسول الله –ﷺ– قال: "**إنى عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته**[2] **وسأنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبى إبراهيم, وبشارة عيسى قومه, ورؤيا أمى التى رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**[3].

وقوله –ﷺ– "**دعوة أبى إبراهيم**" إشارة إلى دعاء خليل الرحمن –عليه السلام– فى قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾[4] ويلاحظ أن بشارة عيسى –عليه السلام– جاء التصريح فيها باسم أحمد لأنه أحد أسمائه –ﷺ–.

---

[1] الآية ٦ سورة الصف .

[2] ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه .

[3] رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الإسناد ٢/ ٦٠ .

[4] الآية ١٢٩ سورة البقرة .

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله -ﷺ- قال: "**لى خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر, وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب**"(١).

وقوله -ﷺ- "**أنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر**" المراد إزالة الكفر بإزالة أهله.. أو أن الكفر ينمحى بسببه أولاً فأولاً إلى أن يضمحل..

وقوله "**أنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى**" أى إنه يحشر قبل الناس ويحشر الناس على أثره أى بعده.. وقيل: المراد على مشاهدتى قائماً لله شاهداً على الأمم(٢).

والحديث يدل على منقبة عظيمة وصورة من صور التكريم لرسول الله -ﷺ- فى الدنيا والآخرة.. أما فى الدنيا فقد اضمحل الكفر, وأما فى الآخرة فإن الناس يحشرون بعده ويشهد على الأمم.

ومن الآيات الكريمة التى أشارت إلى ذكر النبى -ﷺ- فى الكتب السابقة قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(٣) أى الرسول الذى أرسله الله تعالى لتبليغ الأحكام "**النبى الأمى**" الذى لايكتب ولا يقرأ.. نسبة إلى أمة العرب لأن الغالب عليهم ذلك.. ووصف – عليه الصلاة والسلام – بذلك تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته -ﷺ-, فهو بالنسبة إليه – بأبى هو وأمى –

---

(١) رواه البخارى كتاب المناقب باب ما جاء فى أسماء رسول الله -ﷺ- ٦/٦٧٥.

(٢) انظر فتح البارى ٦/ ٥٧٧, ٥٧٨ .

(٣) الآية ١٥٧ سورة الأعراف .

عليه الصلاة والسلام صفة مدح, وأما بالنسبة لغيره فلا.. "**الذي يجدونه مكتوباً**" باسمه ونعوته الشريفة بحيث لا يشكون أنه هو[1].

وهذا النبى المبشر به يعرفون نعته فى التوراة والإنجيل, يؤيد ذلك ويؤكده ما رواه البخارى فى صحيحه عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما – قلت: أخبرنى عن صفة رسول الله –ﷺ– فى التوراة, قال: أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**﴾[2] وحرزاً للأميين, أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ. ولا سخاب فى الأسواق, ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر, ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذناً صماً وقلوباً غلفاً"[3] حرزاً للأميين أى حصناً للعرب.. وأصل الحرز الموضع الحصين, والملة العوجاء: ملة العرب ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام, والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان, والقلوب الغلف. الغلف كل شىء فى غلاف. والسخب ارتفاع الصوت, .. ومما جاء فى ذلك مجملاً عن عبد الله بن سلام قال: "مكتوب فى التوراة صفة محمد –ﷺ–"[4].

وروى البيهقى فى الدلائل عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أن غلاماً يهودياً كان يخدم رسول الله –ﷺ– فمرض فأتاه النبى –ﷺ– يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة, فقال له رسول الله –ﷺ– يا يهودى أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى, هل

---

(1) انظر روح المعانى ٩/ ٧٩, ٨٠ باختصار .

(2) الآية ٤٥ سورة الأحزاب .

(3) رواه البخارى كتاب البيوع – باب كراهية السخب فى السوق ٤/ ٤٢٠ .

(4) انظر فتح البارى ٤/ ٤٢٠, ٤٢١ .

تجد فى التوراة صفتى ومخرجى؟ قال: لا, قال الفتى: بلى والله يا رسول الله إنا نجد فى التوراة نعتك ومخرجك, وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله, فقال –ﷺ–: "**أقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم**"[1].

وقوله تعالى فى وصفه –ﷺ– يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم" أى يحل لهم ما طاب فى حكم الشرع ويحرم عليهم ما خبث.. فالحل والحرمة بحكم الشرع لا بالعقل والرأى ويخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة.. وأصل الإصر الثقل الذى يأصر صاحبه عن الحراك, والأغلال جمع غل وهى الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه.. وعن عطاء كانت بنوا إسرائيل إذا قامت تصلى لبسوا المسوح, وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة, وعلى هذا فالأغلال يراد به حقيقة[2].

فالآية الكريمة صريحة فى دلالتها على ذكر النبى الخاتم –ﷺ– فى الكتب السابقة – التوراة والإنجيل.. وهذا يدل على أن بعثة وصحة نبوته مكتوب فى التوراة والإنجيل, لأن ذلك لو لم يكن مكتوباً لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله, لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات, والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول قوله, فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكوراً فى التوراة والإنجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته –ﷺ–[3].

---

[1] رواه البيهقى فى دلائل النبوة بإسناد صحيح ١/ ٢٧٢ ومعنى "ولوا أخاكم" تولوا أمره بالغسل والصلاة عليه والدفن..

[2] انظر روح المعانى ٩/ ٨١ .

[3] التفسير الكبير ١٥/ ٢٣ .

وإذا كانت الآية الكريمة صرحت بذكر نعوت النبى الخاتم فى التوراة والإنجيل فثم آية توضح أن أهل الكتاب يوقنون ببعثته حتى إنهم كانوا يستنصرون به فى قتال أعدائهم من المشركين .

* يقول الله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[1].

روى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله –ﷺ– قبل مبعثه, فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا وكانوا يقولون فيه, فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بنى سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا, فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد –ﷺ– . ونحن أهل شرك, وتخبروننا أنه مبعوث, وتصفونه لنا بصفته, فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير: ما جاءنا بشىء نعرفه, وما هو بالذى نذكر لكم, فأنزل الله جل ثناؤه فى ذلك ﴿**وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ** ....﴾[2].

والكتاب هو القرآن "ويستفتحون" يستنصرون, وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استنصروا باسم نبى الله محمد –ﷺ–[3].

والتنكير فى "كتاب" للتعظيم ووصفه بما عنده للتشريف والإيذان بأنه جدير بأن يقبل ما فيه ويتبع لأنه من خالقهم وإلههم الناظر فى مصالحهم.. والآية نزلت فى بنى قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله –ﷺ– قبل مبعثه.. قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة: والمعنى يطلبون من الله تعالى أن

---

(1) الآية ٨٩ سورة البقرة .

(2) جامع البيان ٢/ ٣٣٣ .

(3) زاد المسير ١/ ١١٤ .

ينصرهم به على المشركين, كما روى السدى أنهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبى -ﷺ- وقالوا: اللهم أنا نسألك بحق نبيك الذى وعدتنا أن تبعثه فى آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون[١].

ومن الآيات الدالة على معرفة أهل الكتاب بالنبى الخاتم -ﷺ- قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[٢].

فقوله تعالى﴿**يَعْرِفُونَهُ**﴾ أى النبى -ﷺ- كما قال ابن عباس.. والحق الذى كتموه هو النبى ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ أنه حق, ويعلمون ما على مخالفته من العقاب[٣].

فهم يعرفون رسول الله -ﷺ- معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص لا يشتبه عليهم, كما لايشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم, وعن عمر -رضي الله عنه- أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله -ﷺ- فقال: أنا أعلم به منى بابنى, قال: ولم؟ قال: لأنى لست أشك فى محمد أنه نبى, فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه[٤].

يقول الألوسى: يعرفونه بالأوصاف المذكورة فى الكتاب بأنه النبى الموعود بحيث لا يلتبس عليهم عرفاناً مثل عرفانهم أبناءهم, فلا تلتبس عليهم أشخاصهم بغيرهم, وهو تشبيه للمعرفة العقلية الحاصلة من مطالعة الكتب السماوية بالمعرفة الحسية فى أن كلاً منهما يتعذر الاشتباه فيه... والتشبيه بمعرفة الأبناء آكد من

---

(١) روح المعانى ١/ ٣٢٠ .

(٢) الآية ١٤٦ سورة البقرة .

(٣) انظر زاد المسير ١/ ١٥٨ .

(٤) الكشاف ١/ ١٠٢ .

التشبيه بالأنفس, لأن الإنسان قد يمر عليه فترة من الزمان لايعرف فيها نفسه كزمن الطفولة, بخلاف الأبناء فإنه لا يمر عليه زمان إلا وهو يعرف ابنه[1].

وهذه الآية من آكد وأوضح الآيات على أن النبى الخاتم معروف لدى أهل الكتاب, بل إن معرفتهم له تفوق معرفتهم لأبنائهم.

عن على وابن عباس رضى الله عنهما قالا: ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد فى محمد–ﷺ– لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصره, ويأمره فيأخذ العهد على قومه"[2].

لكن!! ثم طائفة من علماء بنى إسرائيل جحدوا الحق وحادوا الله ورسوله, وكتموا ما يعلمون عن صفة النبى الخاتم –ﷺ– دفعهم إلى ذلك الخوف على المكانة التى يتبوؤنها والحسد, وهذا ما ذكره القرآن المجيد فى قول الله تعالى ﴿**وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾[3].

والآية إخبار من الله تعالى عن اليهود اللائمين إخوانهم على ما أخبروا أصحاب رسول الله –ﷺ– بما فتح الله لهم عليهم أنهم قالوا لهم: أفلا تفقهون وتعقلون أن إخباركم أصحاب النبى –ﷺ– بما فى كتبكم أنه نبى مبعوث حجة لهم عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم.. أفلا تعقلون ذلك؟[4].

وأنى لهم أن يكتموا ذلك وقد أخبر الله تعالى أن التنويه بشأن القرآن ثابت فى كتب الأولين, وأن علماءهم يعلمون ذلك .

---

(1) روح المعانى ٢/ ١٣ .

(2) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٨٦ .

(3) الآية ٧٦ سورة البقرة .

(4) جامع البيان ٢/ ٢٥٥ .

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ. أَوَلَمْ يَكُن لَهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[1].

إن ذكر القرآن والتنويه به لموجود فى كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به فى قديم الدهر وحديثه, كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك, ثم أنكر على المكذبين من بنى إسرائيل بقوله ﴿**أَوَلَمْ يَكُن لَهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بنى إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن فى كتبهم التى يدرسونها, والمراد العدول الذين يعترفون بما فى أيديهم من صفة محمد –ﷺ– ومبعثه وأمته كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسى عمن أدركه منهم ومن شاكلهم[2].

وحسبنا ما ذكره عبد الله بن سلام أحد علماء بنى إسرائيل عن نفسه .

روى الترمذى فى سننه عن عبد الله بن سلام –رضي الله عنه– قال: نزلت فى آيات من كتاب الله, نزلت فى ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[3], ونزلت فى ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[4].

وفى صحيح البخارى عن سعد بن أبى وقاص قال: ما سمعت النبى –ﷺ– يقول لأحد يمشى على الأرض: إنه من أهل الجنة, إلا لعبد الله بن سلام, قال: وفيه نزلت هذه الآية ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ**﴾ [5].

---

(1) الآيتان ١٩٦, ١٩٧ سورة الشعراء .

(2) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٦٠ .

(3) الآية ١٠ سورة الأحقاف .

(4) الآية ٤٣ سورة الرعد. رواه الترمذى كتاب المناقب باب مناقب عبدالله بن سلام ٥/٦٧٠.

(5) رواه البخارى كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عبد الله بن سلام ١٦٠/٧.

وهكذا أبان القرآن المجيد عن صورة من صور التكريم لسيدنا محمد –ﷺ– وهى بشارة الأنبياء به وذكره فى كتب الأولين بنعوته .

يقول ابن القيم: لو لم يظهر محمد –ﷺ– لبطلت نبوة سائر الأنبياء, فظهور نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق فإرساله من آيات الأنبياء قبله, وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه فى قوله ﴿**بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ**﴾(١) فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه, فمجيئه هو نفس صدق خبرهم, فكان مجيئه تصديقاً لهم, إذ هو تأويل ما أخبروا به.. إن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وإيمانه بهم, فإنه صدقهم بقوله ومجيئه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه, وشهد بصدقهم بقوله, ومثل هذا قول المسيح ﴿**مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾(٢) فإن التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقاً لها ثم بشر برسول يأتى من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقاً له, كما كان ظهوره تصديقاً للتوراة, فعادة الله فى رسله أن السابق يبشر باللاحق, واللاحق يصدق السابق, فلو لم يظهر محمد ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله, والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره(٣).

---

(١) الآية ٣٧ سورة الصافات .

(٢) الآية ٦ سورة الصف .

(٣) ابن القيم "هداية الحيارى" ١٩٠ .

مخاطبة الأنبياء بأسمائهم
ومخاطبته -ﷺ- بالنبوة والرسالة

من مظاهر التكريم الإلهى للنبى الكريم -ﷺ- أن الحق سبحانه خاطب الأنبياء جميعاً وناداهم بأسمائهم, ولم يخاطب رسول الله -ﷺ باسمه مجرداً, بل خاطبه وناداه تارة بالبنوة وأخرى بالرسالة.. وهذا يدل دلالة واضحة على تفضيله – صلوات الله عليه وسلامه- على الخلق جميعاً ومن فضائله -ﷺ- كما يذكر أبو نعيم:

إخبار الله سبحانه وتعالى عن إجلال قدر نبيه -ﷺ- وتبجيله وتعظيمه, وذلك أنه سبحانه وتعالى ما خاطبه فى كتابه ولا أخبر عنه إلا بالكناية التى هى النبوة والرسالة التى لا أجل منها فخراً ولا أعظم خطراً, وخاطب غيره من الأنبياء وأخبر عنهم بأسمائهم, ولم يذكرهم بالكناية التى هى غاية المرتبة, إلا أن يكون الرسول – ﷺ- فى جملتهم بمشاركته معهم فى الخطاب والخبر, فأما فى حال الإنفراد فما ذكرهم إلا بأسمائهم, والكناية عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب المجلل والمدعو العظيم, لأن من بلغ غاية التعظيم كنى عن اسمه, إن كان ملكاً قيل له يا أيها الملك.. ففضل الله سبحانه وتعالى نبيه -ﷺ-. وبلغ به غاية الرتبة وأعالى الرفعة.

فقال ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾[1].

وقال سبحانه ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**﴾[2].

وخاطب آدم ومن بعده من النبيين بأسمائهم, وكذلك أخبر عنهم, فنادى آدم – عليه السلام- ﴿ **يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾[3].

---

[1] الآية ٦٧ سورة المائدة .

[2] الآية ٤٥, ٤٦ سورة الأحزاب .

[3] الآية ٣٥ سورة البقرة .

وأخبر عنه بقوله سبحانه ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾[1].

ونادى نوحاً –عليه السلام– بقوله ﴿ **يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ**﴾[2].

وأخبر عنه بقوله ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا**﴾[3].

ونادى إبراهيم –عليه السلام– باسمه بقوله ﴿**يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ**﴾[4].

وأخبر عنه بقوله سبحانه ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ** ﴾[5].

ونادى موسى –عليه السلام– بقوله ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي**﴾[6].

وأخبر عنه بقوله سبحانه ﴿**فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾[7].

ونادى عيسى –عليه السلام– بقوله ﴿**يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ**﴾[8].

وأخبر عنه بقوله سبحانه ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم** ﴾[9].

وقال مثل ذلك فى حق هود وصالح وداود وسليمان وزكريا ويحيى على جميع الأنبياء الصلاة والسلام .

---

[1] الآية ١٢١ سورة طه .

[2] الآية ٢٨ سورة هود .

[3] الآية ٤٣ سورة هود .

[4] الآية ٧٦ سورة هود .

[5] الآية ١٢٧ سورة البقرة .

[6] الآية ١٤٤ سورة الأعراف .

[7] الآية ١٥ سورة القصص .

[8] الآية ١١٠ سورة المائدة .

[9] الآية ٦ سورة الصف .

وورود اسمه -ﷺ- العلم "محمد" فإنه يوصف كذلك بالرسالة قال الله تعالى ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[2].

ولما جمع الله بين الخليلين سمى إبراهيم -عليه السلام- وكنى محمداً -ﷺ- فقال سبحانه ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ**﴾[3] فكان ذلك دليلاً على جلاله ورفعة منزلته ونباهته عنده -ﷺ-[4].

تقديمه فى الذكر على الأنبياء السابقين

إذا كان رسول الله -ﷺ- آخر الأنبياء بعثة, فإنه -ﷺ- أولهم ذكراً ..

والقرآن المجيد حين يذكر الأنبياء يقدم ذكر سيدنا محمد -ﷺ- .

يقول الحق سبحانه ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**﴾[5].

والآية الكريمة جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله -ﷺ- كتاباً من السماء, واحتجاج عليهم بأن شأنه فى الوحى كشأن سائر الأنبياء عليهم السلام الذين لا ريب فى نبوتهم .

أخرج ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال سكين وعدى بن زيد: يا محمد ما نعلم الله تعالى أنزل على بشر من شىء بعد موسى -عليه السلام- فأنزل الله تعالى هذه الآية[6].

---

(1) آل عمران ١٤٤ .

(2) الأحزاب ٤٠ .

(3) الآية ٦٨ سورة آل عمران .

(4) دلائل النبوة ١/ ٤٠ .

(5) الآية ١٦٣ سورة النساء .

(6) روح المعانى ٦/ ١٦ .

والمعنى إن أمر محمد -ﷺ- كأمر من تقدمه من الأنبياء فما بالكم تطلبون منه ما لم يطلبه أحد من المعاصرين[١].

وجاء تقديمه -ﷺ- فى قوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾[٢].

ومورد الآية – كما يقول الزمخشرى على طريقة خلاف تلك (يعنى آية الأحزاب)[٣] وذلك أن الله تعالى إنما أورده لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة, فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذى بعث عليه نوح فى العهد القديم, وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء فى العهد الحديث, وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير"[٤].

وهذا التقديم فى الذكر للنبى الكريم -ﷺ- يدل على تفضيله وتكريمه.

يذكر القاضى عياض: عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال فى كلام أبكى به النبى -ﷺ- فقال: "بأبى أنت وأمى يا رسول الله, لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال تعالى: "﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ**... الآية".

وفى هذا تفضيل نبينا -ﷺ- لتخصيصه بالذكر قبلهم, وهو آخرهم بعثاً[٥].

---

[١] فتح القدير ١/ ٦٧٧ .

[٢] الآية ١٣ سورة الشورى .

[٣] وهى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً**﴾ الآية ٧ .

[٤] الكشاف ٣/ ٢٢٩ .

[٥] الشفا – للقاضى عياض ١/ ١١٣ .

التكريم بالوصف

وصف الله تعالى نبيه الكريم –ﷺ– بأوصاف عدة تدل على مدى الإجلال والتكريم للصادق المصدوق.. فوصفه بالخلق العظيم, والرؤوف الرحيم والسراج المنير, ويأتى على قمة هذه الصفات العبودية لله رب العالمين فى أشرف المقامات وأسماها .

* ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾:

أثنى الله تعالى على رسوله الكريم–ﷺ– وزكاه وكرمه غاية التكريم فى القرآن المجيد قال الله تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[١].

وهذا الوصف الكريم لصاحب الخلق العظيم جاء مؤكداً بإن وعلى التى تدل على الاستعلاء والتمكن.. وهذا الوصف العظيم كان تطبيقاً عملياً للرسول فى كل أطوار حياته – منذ صغره حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى, ومن ثم حفظه الله تعالى من كل أدران الجاهلية وقبائحها, فلم يقترف ما يعاب عليه أو يذم, ولم يقترب من شىء يشين ويخدش الحياء فى مجتمع يموج بكل ألوان الرذيلة, ولا يقيم وزناً للفضائل.

أجل!! حفظه الله فى صغره وتولى تأديبه بنفسه ولم يكله فى شىء من ذلك لغيره, ولم يزل الله يفعل به حتى كره إليه أحوال الجاهلية, وحماه منها, فلم يجر عليه شىء منها, كل ذلك لطف به وعطف عليه وجمع للمحاسن لديه[٢].

وثم موقف قبل بعثته –ﷺ– يؤكد حفظ الله لنبيه, وأنه لم ينطق لسانه كلمة سوء قط, ولم يقرع أذنه لغو .

---

[١] الآية ٤ سورة القلم .

[٢] المناوى "فيض القدير" ١/ ٢٢٤ .

روى الحاكم فى المستدرك عن على بن أبى طالب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "**ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر, كلاهما يعصمنى الله تعالى منهما, قلت ليلة لفتى كان معى من قريش فى أعلى مكة فى أغنام لأهلها ترعى, أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة كما تسمر الفتيان, قال نعم: فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمر, فقلت ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة, فلهوت بذلك الغناء والصوت حتى غلبتنى عينى فنمت فما أيقظنى إلا مس الشمس, فرجعت فسمعت مثل ذلك, فقيل لى مثل ما قيل لى, فلهوت بما سمعت وغلبتنى عينى, فما أيقظنى إلا مس الشمس, ثم رجعت إلى صاحبى, فقال: ما فعلت؟ فقلت ما فعلت شيئاً, قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فوالله ما هممت بعدها أبداً بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله تعالى بنبوته**"(١).

وهذا الموقف ينبئ عن حفظ الله تعالى ورعايته لنبيه الكريم منذ صغره, ولقد ذاعت شهرته -صلى الله عليه وسلم- بأجل الصفات وعظيم الخلال قبل مبعثه, فكان الأمين الذى اؤتمن على أسمى وأغلى ما عند قومه, والصادق الذى لم ينطق كلمة سوء قط يقول ابن إسحاق: فشب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكلؤه الله ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته, حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً, وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً, وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً حتى كان اسمه فى قومه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة(٢).

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٢٤٥ وقال صحيح على شرط مسلم وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد رجاله ثقات ٨/ ٢٢٦.

(٢) الروض الأنف للسهيلى ١/ ٢٠٧ .

* ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾:

وصف الله تعالى نبيه الكريم –ﷺ– بصفتين عظيمتين هما الرأفة والرحمة قال الله تعالى ﴿**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[1].

لقد استظل المسلمون بظلال رحمته الوارفة, لأنه –ﷺ– كان أرحم بهم من أنفسهم.. وحسبنا ما رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضى الله عنهما– أن النبى –ﷺ– تلا قول الله فى إبراهيم–عليه السلام– ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[2] وقال عيسى –عليه السلام– ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[3] فرفع يده فقال "**اللهم أمتى أمتى**" وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب إلى محمد–وربك أعلم– فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله –ﷺ– بما قال وهو أعلم: فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد –ﷺ– فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك"[4].

ويروى السيوطى فى الدر عن أبى ذر –رضي الله عنه– قام: –ﷺ– ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[5] فلما أصبح قلت: يا رسول الله, مازلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت!!

---

[1] الآية ١٢٨ سورة التوبة .

[2] الآية ٣٦ سورة إبراهيم .

[3] الآية ١١٨ سورة المائدة .

[4] رواه مسلم كتاب الإيمان باب دعاء النبى –ﷺ– لأمته وبكائه شفقة عليهم ١/ ١٩١ .

[5] الآية ١١٨ سورة المائدة .

قال "**إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها, وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً**"[1].

ولقد وضح القرآن المجيد أن رحمته -ﷺ-. عامة للناس جميعاً قال الله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[2].

روى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما: من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة فى الدنيا والآخرة, ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفى مما أصاب الأمم من الخسف والقذف"[3].

وتجلت رحمته حتى مع المناوئين المعاندين, وهذه الحقيقة يؤكدها سيرته معهم فقد كانت تطبيقاً عملياً لرحمته ورأفته .

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبى -ﷺ- هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت, وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة, إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت, فانطلقت وأنا مهموم على وجهى, فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى, فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى, فنظرت فإذا فيها جبريل, فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك, وماردوا عليك, وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم, فنادانى ملك الجبال فسلم على, ثم قال: يا محمد. فقال: ذلك فيما

---

[1] الدر المنثور ٣/ ٢٤٠ .

[2] الآية ١٠٧ سورة الأنبياء .

[3] جامع البيان ١٧/ ٨٣ .

شئت, إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبى –ﷺ–, بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً"[(١)].

وقرن الثعالب: ميقات أهل نجد, ويقال له قرن المنازل, وهو على بعد يوم وليلة من مكة... "والأخشبين" جبلا مكة أبو قبيس والذى يقابله..

وفى الحديث بيان شفقة النبى –ﷺ– على قومه, ومزيد صبره وحلمه, وهو موافق لقوله تعالى ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾[(٢)] وقوله ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[(٣)].

* السراج المنير:

من صور التكريم الإلهى للنبى –ﷺ– وصفه بالسراج المنير قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**﴾[(٤)].

شبه–ﷺ– بالسراج لأن الله تعالى جلى به "ظلمات الشرك واهتدى به الضالون, كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به[(٥)].

فإذا كان السراج يزيل الظلمة الحسية ويهتدى الإنسان بنوره, فإن رسول الله –ﷺ– قد أزال كل ظلمة معنوية, فأزال ظلمات الضلال والجهل والشك, بيقين الإيمان ونور النبوة الساطع.

وتحمل الآية – أيضاً – على الظهور والوضوح, فإن كان القمر يرى ليس دونه حجاب بحيث لا يخفى على أحد, فكذلك أمر النبى –ﷺ– واضح وضوح الشمس

---

(١) رواه البخارى كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين ٣٨١/٦ ومسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لاقى النبى من أذى المشركين والمنافقين ١٤٢٠/٣.

(٢) الآية ١٥٩ سورة آل عمران .

(٣) انظر فتح البارى ٦/ ٣٨٢ .

(٤) الآيتان٤٥, ٤٦ سورة الأحزاب .

(٥) الكشاف ٣/ ٤٣٢ .

والقمر.. وعلى هذا يكون المعنى: إن أمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس فى إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند[1].

ووصف الله تعالى نبيه الكريم -ﷺ- بالنور فى قوله جل ذكره: ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[2].

فالنور هو رسول الله-ﷺ- الذى أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام, ومحق به الشرك, فهو نور لمن استنار به يبين الحق[3] والصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – الذين سعدوا برؤية النور المتألق والسنا الوضاء أجمعوا على أن وجه الصادق المصدوق -ﷺ- يتلألأ بهاء وجمالاً ونوراً كأنه القمر فى ليلة البدر.

روى البخارى فى صحيحه عن أبى إسحاق قال "**سئل البراء: أكان وجه النبى -ﷺ- مثل السيف؟ قال: لا, بل مثل القمر**"[4].

---

[1] تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٠٥ .

[2] الآية ١٥, ١٦ سورة المائدة .

[3] انظر فتح القدير للشوكانى ٢/ ٢٣ .

[4] رواه البخارى فى كتاب المناقب باب صفة النبى -ﷺ- ٦٩٣/٦.

وجوب الأدب مع الرسول -ﷺ-

يقول الحق سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

سبب نزول الآية الكريمة:

ذكر المفسرون فى سبب نزول الآية عدة روايات:

١- فى صحيح البخارى أن ركباً من بنى تميم قدموا على رسول-ﷺ- فقال أبوبكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس، فقال أبوبكر: ما أردت إلا خلافى، فقال عمر: ما أردت خلافك تمارياً حتى ارتفعت أصواتهما فنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2].

هذه الرواية تبين أن السبب اختلاف أبى بكر وعمر- رضى الله عنهما- فى من يكون أميراً على وفد تميم فأشار الصديق أن يؤمر القعقاع وأشار عمر أن يؤمر الأقرع بن حابس واختلفا حتى ارتفعت أصواتهما فى حضرة النبى الكريم-ﷺ- فنزلت الآية الكريمة.

٢- روى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها أن ناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبى-ﷺ- فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[3].

---

[1] الآية ١ سورة الحجرات.

[2] رواه البخارى كتاب التفسير- تفسير سورة الحجرات ٧٢٥/٨.

[3] رواه الطبرانى فى الأوسط ٢٠٦/٣ وذكره السيوطى فى لباب التقول ٤٣٤.

٣- روى ابن جرير وابن المنذر عن الحسن: أن ناساً ذبحوا قبل أن يصلى رسول الله-ﷺ- يوم النحر، فأمرهم- عليه الصلاة والسلام- أن يعيدوا الذبح فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[١].

٤- عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى-ﷺ- أنفذ أربعة وعشرين رجلاً من أصحابه إلى بنى عامر فقتلوهم إلا ثلاثة تأخروا عنهم، فسلموا وانكفأوا إلى المدينة- أى رجعوا- فلقوا رجلين من بنى سليم فسألوهما عن نسبهما فقالا: من بنى عامر لأنهم أعز من بنى سليم، فقتلوهما، فجاء نفر من بنى سليم إلى رسول الله-ﷺ- فقالوا إن بيننا وبينك عهداً، وقد قتل منا رجلان، فوداهما النبى-ﷺ- بمائة بعير ونزلت عليه هذه الآية فى قتلهم الرجلين[٢].

هذه جل الروايات فى سبب نزول الآية وإن كان بينها تباين إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ. وذهب العلماء إلى أن الحكم يتناول كل أفراد اللفظ سواء منها أفراد السبب وغير أفراد السبب[٣].

وثم كلمة جليلة ذكرها الإمام الرازى بعد أن ذكر سبب النزول قال: والأصح أنه إرشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل إثبات وتقدم واستبداد بالأمر وإقدام على فعل غير ضرورى من غير مشاورة"[٤].

---

[١] أسباب النزول ٤٣٤ والجامع لأحكام القرآن ٣٠٨/٧ وروح المعانى ٢٠١/١٤.

[٢] الجامع لأحكام القرآن ٦٣٠٨/٧ زاد المسير ١٧٧/٧ روح المعانى ٢٠٢/١٤.

[٣] انظر البرهان للزركشى ٣٢/١ ومناهل العرفان ١١٨/١.

[٤] التفسير الكبير ١١٠/٢٨.

وجاء الخطاب بأحب نداء ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾ لتنبيه المخاطبين على أن ما فى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد الانتباه واعتنائهم بشأنه، وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته، ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به[١].

وقد ذكر المفسرون فى بيان قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ عدة أقوال:

١- قال ابن عباس: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة... وقال: نهوا أن يتكلموا بين كلامه-ﷺ-.

٢- قال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم.

٣- قال ابن جريج: لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذى أمر الله تعالى به رسوله-ﷺ-.

٤- قال مجاهد: لا تفتاتوا على الله ورسوله حتى يقضى الله على لسان رسوله-ﷺ-.

٥- لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله، ولا تعجلوا به[٢].

وهذه الأقوال متقاربة وكلها مرادة من الآية، فالنهى يشمل كل ما من شأنه أن يكون تقدمة بين يدى الله ورسوله. إذ الأدب هو الانقياد المطلق لحكم الله ورسوله.

فلا تقدموا أمام الله ورسوله فتقولوا فى شىء بغير علم ولا إذن من الله، ويدخل فى ذلك النهى- دخولاً أولياً- تشريع ما لم يأذن به الله، وتحريم ما لم يحرمه الله،

---

[١] إرشاد العقل السليم لأبى السعود ١١٥/٧.

[٢] انظر الجامع لأحكام القرآن ٦٣٠٨/٧، جامع البيان ١١٦/٢٦، تفسير القرآن العظيم ٢٠٥/٤، فتح القدير ٥٩/٥.

وتحليل ما لم يحلله، لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله[1].

والغرض من النهى ألا يقطع فى حكم أو أمر بغير إذن الله ورسوله..

والآية فيها استعارة تمثيلية.. شبه تعجل الصحابة فى إقدامهم على قطع الحكم فى أمر من أمور الدين بغير إذن الله ورسوله بحالة من يتقدم بين يدى متبوعه، إذا سار فى طريق فإنه فى العادة مستهجن، ثم استعمل فى جانب المشبه ما كان مستعملاً فى جانب المشبه به من الألفاظ، والغرض تقبيح قطع الحكم بغير إذن الله ورسوله، ومثله قوله فى حق الملائكة ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[2]. أى لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليهم وجعل محله القول تنبيهاً على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله[3].

وذكر الله تعالى لتعظيمه-ﷺ- والإيذان بجلالة مكانته عند الله تعالى، ومزيد اختصاصه به سبحانه وأمر التجوز عليه على حاله[4].

ومن الأدب الذى ترشد إليه الآية الكريمة وجوب تقديم حكم الله ورسوله، فلا رأى ولا اجتهاد فى أمر بين الله تعالى ورسوله-ﷺ- حكمه.

وقد التزم الصحابة الكرام هذا الأدب. وحسبنا ما رواه الترمذى من حديث معاذ بن جبل-رضي الله عنه- قال له النبى-ﷺ- حين بعثه إلى اليمن، بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال-ﷺ- فإن لم تجد، قال: بسنة رسول الله، قال-ﷺ- فإن لم تجد؟ قال: أجتهد

---

(1) انظر: أضواء البيان ٦١٤/٧.

(2) الآية ٢٧ سورة الأنبياء.

(3) الفتوحات الإلهية ١٧٣/٤.

(4) إرشاد العقل السليم ١١٦/٧.

رأيى فضرب فى صدره وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله-ﷺ-[1].

لقد قدم معاذ-رضي الله عنه- الحكم بكتاب الله وسنة رسوله-ﷺ- وأخر اجتهاده ورأيه، ولو قدم الرأى والاجتهاد لكان ذلك تقديم بين يدى الله ورسوله.

والآية- كما يقول ابن العربى: أصل فى ترك التعرض لأقوال النبى-ﷺ- وإيجاب إتباعه والإقتداء به[2].

قال الله تعالى ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ**﴾[3]. وقال سبحانه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[4].

يقول ابن القيم: السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه!!

١- أن تكون موافقة له فى كل وجه فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

٢- أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

٣- أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام[5].

يقول الألوسى: لا تقطعوا أمراً وتجزموا به وتجترؤا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسوله به ويأذنا فيه، وحاصله النهى عن الإقدام على أمر من الأمور

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب الأحكام باب ما جاء فى القاضى كيف يقضى ٦١٦/٣ وأبوداود فى الأقضية ٨/٤.

(٢) أحكام القرآن ١٧١٤/٤.

(٣) الآية ٨٠ سورة النساء.

(٤) الآيات ٣-٥ سورة النجم.

(٥) انظر أعلام الموقعين لابن القيم ٣٠٧/٢.

دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة... والمراد النهى عن مخالفة الكتاب والسنة وعليه تفسير ابن عباس على ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر أنه قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.. وعن مجاهد لا تفتأتوا على رسول الله-ﷺ- بشىء حتى يقضى الله تعالى على لسانه(١).

وهذا الأدب التزمه الصحابة الكرام- رضى الله عنهم- حتى فى الأمور البدهية يؤكد ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى بكرة-رضي الله عنه- قال: خطبنا النبى-ﷺ- يوم النحر، قال: أتدرون أى يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس يوم النحر" قلنا: بلى، قال: "أى شهر هذا؟" قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: "أليس ذو الحجة" قلنا بلى، قال: "أى بلد هذا" قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست البلدة الحرام"؟ قلنا: بلى، قال: "فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت. قالوا نعم: قال: "اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدى كفاراً بضرب بعضكم رقاب بعض"(٢).

ومن ثم!! فإن من الأدب مع النبى الكريم-ﷺ- والتعظيم لشأنه ألا يتطاول على حكم قضى به، أو قول قاله، فالانقياد المطلق والتسليم لكل حكم قضى به أو أمر أو نهى هو أدب الصادقين مع نبيهم الكريم امتثالاً لقول الله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾(٣).

---

(١) انظر روح المعانى ١٣٢/٢٦.

(٢) رواه البخارى كتاب الحج الخطبة فى منى ٦٢٠/٢.

(٣) الآية ٣٦ سورة الأحزاب.

النهى عن رفع الصوت فوق صوت النبى-ﷺ-

ثم مظهر من مظاهر التكريم لرسول الله-ﷺ- أبان عنه القرآن المجيد وهى صورة تكريمية ترينا مدى الإجلال والتعظيم لصاحب الخلق العظيم، ففى توجيه تربوى حكيم يوجه الحق سبحانه المؤمنين بغض الصوت فى حضرة رسول الله-ﷺ- ويناديهم بأجل وصف وأحبه إلى النفس، وصف يتفق مع الأدب بأسلوب غاية فى الروعة والبيان. قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾(١).

سبب نزول الآية الكريمة!!

١- فى صحيح البخارى عن ابن أبى مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبوبكر وعمر- رضى الله عنهما- رفعا أصواتهما عند النبى-ﷺ- حين قدم عليه ركب بنى تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخى بنى مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر(٢)، فقال أبوبكر لعمر: ما أردت إلا خلافى، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما فى ذلك، فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ..**﴾ الآية قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه(٣).

وهذا السبب هو نفسه سبب نزول الآية السابقة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ ولا حرج فى ذلك وليس بينهما شائبة تعارض.. فالآية الأولى لما

---

(١) الآية ٢ سورة الحجرات.

(٢) هو القعقاع بن معبد.

(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير- تفسير سورة الحجرات ٨/٧٢٥.

تكلم أبوبكر وعمر فى شأن من يؤمر على ركب بنى تميم أشار كل واحد منهما بمن يؤمر قبل أن يتكلم رسول الله-ﷺ- ويشير بذلك.

والآية الثانية نزلت حين ارتفعت أصواتهما عند رسول الله-ﷺ- فالآية الأولى تنهى عن التقدم بالقول بين يدى الله ورسوله والثانية نهى عن رفع الصوت فوق صوت النبى الكريم وفى حضرته..

ويوجه ذلك صاحب الفتوحات بقوله: لما اختلف أبوبكر وعمر فى تأمير الأمير على الوفد المذكور، ولم يصبرا حتى يكون رسول الله-ﷺ- هو الذى يشير بذلك نزل قوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ ولما رفعا أصواتهما فى القضية نزل قوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾[١].

٢- ثم سبب آخر أورده الواحدى أن الآية نزلت فى ثابت بن قيس كان فى أذنه وقر، وكان جهورى الصوت وكان إذا كلم إنساناً جهر بصوته فربما كان يكلم رسول الله-ﷺ- فيتأذى بصوته فنزلت هذه الآية[٢].

ولعل ما يعضد هذا السبب ما رواه البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- أن النبى-ﷺ- افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده جالساً فى بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبى-ﷺ- فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبى-ﷺ- فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى[٣]: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة

(١) الفتوحات الإلهية ١٧٤/٤.

(٢) أسباب النزول ٤٠٢.

(٣) موسى بن أنس راوى الحديث عن أنس بن مالك!!

عظيمة، فقال اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة[1].

وجاءت الآية الكريمة مصدرة بهذا النداء ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ وذلك لأمور:

١- أن فى ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كما فى قول لقمان لابنه "يا بنى لا تشرك بالله" "يا بنى إنها إن تك مثقال حبة" "يا بنى أقم الصلاة"[2]. لأن النداء لتنبيه المنادى ليقبل على استماع الكلام ويلقى باله.

٢- أن لا يتوهم متوهم أن المخاطب ثانياً غير المخاطب أولاً، فإن من الجائز أن يقول يا زيد افعل كذا، وقل كذا يا عمر، فإذا أعاده مرة أخرى وقال: يا زيد قل كذا، يعلم من أول الكلام أنه هو المخاطب ثانياً أيضاً.

٣- أن يعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود، وليس الثانى تأكيداً للأول[3].

٤- الاهتمام بهذا الغرض والإشعار بأنه غرض جدير بالتنبيه عليه بخصوصه حتى لا ينغمر فى الغرض الأول، فإن هذا من آداب سلوك المؤمنين فى معاملة النبى-ﷺ- ومقتضى التأدب بما هو آكد من المعاملات بدلالة الفحوى[4].

وقوله سبحانه ﴿**لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ**﴾ يحمل على المعانى الآتية- كما ذكر الرازى-:

١- أن يكون المراد حقيقته، وذلك لأن رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام.

---

[1] رواه البخارى فى كتاب التفسير باب "لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى" ٧٢٧/٨.

[2] الآيات ١٢، ١٦، ١٧ سورة لقمان.

[3] انظر التفسير الكبير ١١٢/١٤.

[4] التحرير والتنوير ٢١٩/١٢.

٢- أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام لأن من يكثر الكلام يكون متكلماً عند سكوت الغير فيكون فى وقت سكوت الغير لصوته ارتفاع وإن كان خافتاً إذا نظر إلى حال غيره، فلا ينبغى أن يكون لأحد عند النبى-ﷺ- كلام كثير بالنسبة إلى كلام النبى-ﷺ-.

٣- أن يكون المراد رفع الكلام بالتعظيم أى لا تجعلوا لكلامكم ارتفاعاً على كلام النبى-ﷺ- فى الخطاب، .. والكل يدخل فى حكم المراد لأن المنع من رفع الصوت لا يكون إلا للاحترام وإظهار الاحتشام، ومن بلغ احترامه إلى حيث تخفض الأصوات عنده من هيبته وعلو مكانته لا يكثر عنده الكلام، ولا يرجع المتكلم معه فى الخطاب[١].

إن الأدب مع الرسول الكريم-ﷺ- يستلزم خفض الصوت لأن رفع الصوت دليل على سوء الأدب، كما أنه يؤذى السامع.

فإذا تكلم الرسول-ﷺ- فلا تبلغ أصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته-ﷺ- وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه هو المسموع.. وجاء النهى الثانى ﴿**وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ**﴾ فإذا تكلمتم وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليكم ألا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر[٢]. والنهى عن رفع الصوت والجهر بالقول- كما يقول القرطبى: ليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون، وإنما الغرض صوت هو فى نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير... ولم يتناول النهى أيضاً رفع الصوت الذى لا يتأذى به رسول

---

(١) التفسير الكبير ١١٣/١٤.

(٢) انظر الكشاف ٥٥٤/٣.

الله-ﷺ- وهو ما كان منهم فى حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو ما شابه ذلك[1].

وقد أخذ العلماء من الآية الكريمة مراعاة هذا الأدب الجم عند زيارة قبر النبى الكريم-ﷺ- لأن حرمة النبى-ﷺ- ميتاً كحرمته حياً، وكلامه المأثور بعد موته فى الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل من حضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك فى مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ﴾**[2]. وكلام النبى-ﷺ- من الوحى وله من الحرمة مثل ما للقرآن[3].

يقول القرطبى: وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره-ﷺ-، وكره بعض العلماء رفع الصوت فى مجالس العلماء تشريفاً لهم، إذ هم ورثة الأنبياء[4].

ويؤيد ذلك ما رواه البخارى من حديث السائب بن زيد عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- أنه سمع صوت رجلين فى مسجد النبى-ﷺ- قد ارتفع، فجاء فقال: أتدرون أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً[5].

وتعليل النهى عن رفع الصوت والجهر بالقول يوضحه قوله تعالى **﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾**.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ٦٣١٤/٧.

[2] الآية ٢٠٤ سورة الأعراف.

[3] ابن العربى "أحكام القرآن" ١٧١٤/٤.

[4] انظر الجامع لأحكام القرآن ٦٣١٣/٧، والبحر المحيط ٥٠٨/٩.

[5] صحيح البخارى كتاب الصلاة باب رفع الصوت فى المسجد ٩٣/١.

تعليل لما قبلها من النهيين "**لا ترفعوا ولا تجهروا**".. والمعنى أنهاكم عما ذكر لكراهة حبوط أعمالكم بارتكابه، أو تعليل للمنهى عنه[١].

وإحباط العمل إبطاله وعدم الانتفاع به.. يقال: حبط عمله حبطاً وحبوطاً بطل، وأحبطه الله أبطله، وهو من قولهم حبط ماء الركية إذا ذهب ذهاباً لا يعود أبداً، وقيل: أصله من الحبط وهو أن تكثر الدابة أكلاً حتى ينتفخ بطنها وربما هلكت[٢].

فهذا الصنيع من رفع الصوت والجهر بالقول يودى بصاحبه ويبطل عمله وهو لا يشعر أن عمله أحبط وهذا قوله سبحانه "**وأنتم لا تشعرون**" وهو تنبيه إلى مزيد الحذر من هذه المهلكات حتى يصير ذلك دربة فلا يصل إلى ما يحبط الأعمال، وليس عدم الشعور كائناً فى إتيان الفعل المنهى عنه، لأنه لو كان كذلك لكان صاحبه غير مكلف لامتناع تكليف الغافل ونحوه[٣].

ومن هنا فإن ما يأتى به الإنسان بغير أمر النبى-ﷺ- محبط لعمله.. وبيان ذلك أن المكلف إذا لم يحترم النبى-ﷺ- ويجعل نفسه مثله فيما يأتى به بناء على أمره يكون كما يأتى به بناء على أمر نفسه لكن ما تأمر به النفس لا يوجب الثواب وهو محبط، كذلك ما يأتى به بغير أمر النبى-ﷺ- حينئذ حابط محبط[٤].

وهكذا!! تبين الآية الكريمة صورة من صور التكريم للهادى البشير-ﷺ- وتضع منهجاً تربوياً لكيفية الأدب مع الصادق المصدوق فى حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فالأدب معه-ﷺ- بعد مماته كالأدب معه فى حياته.

---

[١] روح المعانى ١٣٥/٢٦.

[٢] الفيروز أبادى "بصائر ذوى التمييز" ٢٢٤/٢.

[٣] التحرير والتنوير ٢٢٢/١٢.

[٤] التفسير الكبير ١١٤/١٤.

الأدب فى نداء النبى-ﷺ-

أمر الله تعالى المؤمنين أن يتأدبوا فى نداء الرسول الكريم-ﷺ- فنهاهم عن مناداته باسمه المجرد "محمد" لأن ذلك يتنافى مع علو قدره وسمو منزلته الشريفة.

يقول الحق سبحانه ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾[1].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبيه-ﷺ- قال: قولوا: يا نبى الله يا رسول الله.

وقال قتادة: أمر الله أن يهاب نبيه-ﷺ- وأن يعظم وأن يسود[2].

ومن ثم! فلا بد من امتلاء القلوب بالتوقير لرسول الله-ﷺ- حتى يُستشعر توقير كل كلمة منه وكل توجيه، وهى لفتة ضرورية، فلا بد للمربى من وقار، ولا بد للقائد من هيبة، وفرق بين أن يكون المربى متواضعاً هيناً ليناً، وأن ينسوا هم أنه مربيهم فيدعوه دعاء بعضهم بعضاً... فيجب أن تبقى للمربى منزلة فى نفوس من يربيهم يرتفع بها عليهم فى قرارة شعورهم، ويستحيون هم أن يتجاوزوا معها حدود التبجيل والتوقير[3].

والآية الكريمة- كما يقول الألوسى: استئناف مقرر لما قبله، والالتفات لإبراز مزيد الاعتناء بشأنه، أى لا تقيسوا دعاءه عليه الصلاة والسلام إياكم على دعاء بعضكم بعضاً فى حال من الأحوال وأمر من الأمور التى من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه- عليه الصلاة والسلام- بغير استئذان، فإن ذلك من المحرمات.. وإلى هذا المعنى ذهب أبومسلم واختاره المبرد والقفال، أخرج ابن أبى حاتم وأبونعيم عن ابن عباس قال: كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله

---

(1) الآية ٦٣ سورة النور.

(2) تفسير القرآن العظيم ٣١٨/٣.

(3) فى ظلال القرآن ٢٥٣٥/٤.

تعالى عن ذلك بقوله ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً**﴾ إعظاماً لنبيه–ﷺ– فقالوا: يا بنى الله يا رسول الله.. وروى نحو هذا عن قتادة والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد.. وفى هذا النهى تحريم ندائه–ﷺ– باسمه[1].

ومن ثم!! فإن من التكريم والإجلال للنبى–ﷺ– أن ينادى بأجل وأعظم وصف وهو النبوة والرسالة كما ناداه الله سبحانه بذلك.. فإن الله تعالى إكراماً لنبيه لم يذكره فى النداء باسمه المجرد. وإنما ناداه بالنبوة والرسالة "**يا أيها النبى**" "**يا أيها الرسول**".

---

[1] روح المعانى ١٨/٢٢٤، ٢٢٥.

وخاتم النبيين

إن رسول الله-ﷺ- خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبى بعده ولا رسول. وقد أكد القرآن المجيد هذه الحقيقة، وتضافرت أحاديث رسول الله-ﷺ- مؤكدة ذلك.

قال الله تعالى ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾[1].

وهذه الآية نص فى أنه لا نبى بعده-ﷺ- وإذا كان لا نبى بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبى ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله-ﷺ- من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم[2].

وبختم النبوة أكمل الله الدين وأتم النعمة ورضى الإسلام دينا، لقد أنزل الله تعالى على نبيه الكريم-ﷺ- فى حجة الوداع يوم عرفة قوله تعالى ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾[3].

فاليوم يوم عرفة- وهو قول الجمهور الصحيح- كملت الفرائض والحدود، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم- كما قال ابن عباس- وعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم- وكمال الدين عزه ونصره وظهوره، وزوال الخوف من العدو... وتمام النعمة الهداية إلى الإيمان[4].

والآية الكريمة- كما يقول ابن كثير: أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبى غير نبيهم-ﷺ-

---

(1) الآية ٤٠ سورة الأحزاب.

(2) تفسير القرآن العظيم ٥٠١/٣.

(3) الآية ٣ سورة المائدة.

(4) انظر زاد المسير ٢٨٧/٢، ٢٨٨ باختصار.

ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى ﴿**وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً**﴾[1]. أى صدقاً فى الأخبار وعدلاً فى الأوامر والنواهى، فلما أكمل لهم الدين تمت لهم النعمة، ولهذا قال: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم** .. الآية أى فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذى أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه[2].

روى البخارى عن طارق بن شهاب "قالت اليهود لعمر: إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: إنى لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله-ﷺ- حين نزلت يوم عرفة، وأنا والله بعرفة[3].

ولقد بين الرسول الكريم-ﷺ- فى عدة أحاديث شريفة ما يؤكد أنه خاتم النبيين ولا نبى بعده...

ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله-ﷺ- قال: "**إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**"[4].

وروى البخارى عن أبى حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبى-ﷺ- قال: "**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبى خلفه**

---

[1] الآية ١١٥ سورة الأنعام.

[2] تفسير القرآن العظيم ١٤/٢.

[3] رواه البخارى. كتاب التفسير. باب "اليوم أكملت لكم دينكم" ٣٣٥/٨.

[4] رواه البخارى كتاب المناقب باب خاتم النبيين ٦٨٠/٦.

نبى، وإنه لا نبى بعدى، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم"[1].

لقد كان أنبياء بنى إسرائيل يتعاقبون على أقوامهم، ويجددون ما محى واندسر من الشريعة، حتى بعث الصادق المصدوق بالنبوة الخاتمة والرسالة العامة الشاملة، وهذا من فضائله ومظاهر تكريم الله له وإجلاله، وفى صحيح مسلم أن رسول الله–ﷺ– قال: "**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبيون**"[2].

فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد –ﷺ– إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تعالى فى كتابه ورسوله–ﷺ– فى سنته المتواترة عنه أنه لا نبى بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل. ولو أتى بكل أنواع السحر والطلاسم، فكلها محال وضلال عند أولى الألباب... وهذا بخلاف الأنبياء عليهم السلام فإنهم فى غاية البر والصدق والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما أيدهم الله به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات، فصلوات الله عليهم دائماً ما دامت الأرض والسموات[3].

---

[1] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٦٠١/٦.

[2] رواه مسلم كتاب الفضائل باب ذكر كونه–ﷺ– خاتم النبيين ١٧٩١/٤.

[3] انظر تفسير القرآن العظيم ٥٠٢/٣ باختصار.

ولما ختمت النبوة بالنبى الخاتم–ﷺ– حفظ الله كتابه وشريعته، فلم ينل من الكتاب نائل أو يعبث به عابث، بل ظل الكتاب وسيظل محفوظاً بحفظ الله له تحقيقاً للوعد الإلهى فى قوله سبحانه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[١].

فالله سبحانه حافظ له فى كل وقت من كل زيادة ونقصان، وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار، فاختلفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف، ولم يكل القرآن إلى غير حفظه[٢].

لقد غير السابقون فى كتبهم وحرفوا، وضاعت معالم الحق فيها قال الله تعالى ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[٣].

لكن النبى الخاتم جاء بكتاب مهيمن خالد وعد الله ووعده حق بحفظه، ومن ثم كان ختم النبوة موافقاً لمقتضى الحال.

---

[١] الآية ٩ سورة الحجر.

[٢] انظر الكشاف ٣١١/٢.

[٣] الآية ٧٩ سورة البقرة.

التكريم بعموم الرسالة

إذا كان الصادق المصدوق-ﷺ- خاتم الأنبياء والمرسلين ولا نبى بعده، فإن من الطبعى أن تكون رسالته الخاتمة رسالة عامة شاملة. فقد كانت رسالات الأنبياء السابقين إقليمية محددة للقوم الذين بعث فيهم النبى وأرسل إليهم، فكان كل بنى يبعث إلى قومه خاصة، لكن رسول الله-ﷺ- بعث للناس كافة... والقرآن المجيد فى حديثه عن الأنبياء السابقين يبين أن كل نبى كلف بدعوة قومه فحسب، فلا تتعدى دعوته غيرهم.

ففى حق نوح-عليه السلام- يقول سبحانه ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾[1]. ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ**﴾[2].

وفى حق هود-عليه السلام- يقول تعالى ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ**﴾[3].

وفى حق صالح-عليه السلام- يقول تعالى ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ**﴾[4].

وفى حق شعيب-عليه السلام- يقول تعالى ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ**﴾[5].

---

[1] الآية ١ سورة نوح.

[2] الآية ٥٩ سورة الأعراف.

[3] الآية ٦٥ سورة الأعراف.

[4] الآية ٧٣ سورة الأعراف.

[5] الآية ٨٥ سورة الأعراف.

وهكذا كان النبى يكلف بدعوة قومه خاصة.. أما النبى الخاتم–ﷺ– فإن رسالته عامة للناس جميعاً، وقد أبان القرآن المجيد عن عالمية رسالة النبى الخاتم فى قول الله تعالى ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[١].

يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد–ﷺ– قل يا محمد: يا أيها الناس، وهذا خطاب عام للأحمر والأسود، والعربى والعجمى، إنى رسول الله إليكم جميعاً، وهذا من شرفه وعظمته–ﷺ– أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة. وهذا معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول إلى الناس كلهم[٢].

وآيات القرآن المجيد تؤكد للخلق جميعاً أن رسالة النبى الخاتم شاملة وعامة لا يندعنها أحد، فجميع الخلق مكلفون بها يقول الله تعالى ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾[٣].

وفى سورة القلم المكية وهى من أوائل ما نزل من القرآن، وتحديداً هى السورة الثانية بعد سورة العلق ختمت بقول الله تعالى ﴿**وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾[٤].

كذلك فى سورة التكوير المكية نقرأ قول الله تعالى ﴿**إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾[٥].

وفى سورة الأنبياء يقول جل ذكره ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[٦].

---

[١] الآية ١٥٨ سورة الأعراف.

[٢] انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٦٥ وجامع البيان ١٣/١٧٠.

[٣] الآية ١ سورة الفرقان.

[٤] الآية ٥٢ سورة القلم.

[٥] الآية ٢٧ سورة التكوير.

[٦] الآية ١٠٧ سورة الأنبياء.

فهذه الآيات الكريمة فى سورها المكية جاءت بلفظ العموم ﴿**الْعَالَمِينَ**﴾ لتدل على عالمية الرسالة الخاتمة منذ ظهورها، فعالمية الرسالة حقيقة مؤكدة وليست ادعاء.

ولقد أكد القرآن المجيد أن رسالة النبى الخاتم كانت للثقلين– الإنس والجن– يؤكد ذلك أن الله تعالى حين تحدى بالقرآن وجه التحدى إلى الإنس والجن. قال الله تعالى ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[1].

وفى القرآن المجيد سورة مكية تسمى سورة الجن يقول ربنا جل وعز فى مفتتحها ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**﴾[2].

وقوله تعالى ﴿**قُلْ**﴾ أمر منه تعالى لرسوله–ﷺ– أن يظهر لأصحابه ما أوحى الله إليه فى واقعة الجن. وفيه فوائد:

إحداها: أن يعرفوا بذلك أنه عليه الصلاة والسلام كما بعث إلى الإنس فقد بعث إلى الجن كذلك.

ثانيها: أن تعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا بالرسول–ﷺ–.

ثالثها: أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس.

رابعها: أن يعلم أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا.

خامسها: أن يظهر أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان[3].

---

(1) الآية ٨٨ سورة الإسراء.

(2) الآيتان ١، ٢ سورة الجن.

(3) التفسير الكبير ١٥٣/٣٠.

ولقد بين القرآن المجيد أن الجن استمعوا إلى القرآن فى آية أخرى وهى قوله جل ثناؤه فى سورة الأحقاف ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[1].

وهكذا تتأكد عالمية رسالة النبى الخاتم للثقلين وصدق الله العظيم القائل ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

وفى حديث صحيح بين الرسول الكريم-ﷺ- بعض صور التكريم الإلهى له وبيان فضل الله عليه فيما فضله به على سائر الأنبياء يقول-ﷺ- "**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**"[3].

فقوله-ﷺ- "**وبعثت إلى الناس عامة**" دليل على عموم رسالته وعالميتها، ومن هنا كانت حكمة ختم النبوة فقد عم دين الله الآفاق وفتح الله تعالى على النبى الخاتم، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، وأيد الله تعالى نبيه الكريم بمعجزة باقية خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!!

(١) الآيتان ٢٩، ٣٠ سورة الأحقاف.

(٢) الآية ٢٨ سورة سبأ.

(٣) رواه البخارى كتاب التيمم ١٢٨/١.

التكريم بصلاة الله وملائكته عليه

إن الله وملائكته يصلون على النبى

من أرقى صور التكريم الإلهى للنبى-ﷺ- أن الله جل ثناؤه وملائكته يصلون عليه-ﷺ- وجاء التعبير القرآنى عن هذا التكريم بأسلوب يدل على الاستمرار والتجدد، أى أن الصلاة دائمة لا تنقطع.

يقول جل ذكره ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[1].

والآية فيها من التشريف العظيم الذى لم يعهد له نظير، والتعبير بالجملة الإسمية للدلالة على الدوام والاستمرار، والجملة تفيد الدوام نظراً إلى صدرها من حيث إنها جملة اسمية، وتفيد التجدد نظراً إلى عجزها من حيث إنه جملة فعلية، فعلها مضارع فيكون مفادها استمرار الصلاة وتجددها وقتا فوقتا، وتأكيدها بإن للاعتناء بشأن الخبر، وقيل: لوقوعها فى جواب سؤال مقدر هو ما سبب هذا التشريف العظيم؟

وعبر بالنبى دون اسمه-ﷺ- على خلاف الغالب فى حكايته تعالى عن أنبيائه- عليهم السلام- إشعاراً بما اختص به-ﷺ- من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر، وأكد ذلك الإشعار بأل التى هى للغلبة إشارة إلى أنه-ﷺ- المعروف الحقيق بهذا الوصف.

وقال ﴿**وَمَلائِكَتَهُ**﴾ ولم يقل الملائكة إشارة إلى عظيم قدرهم ومزيد شرفهم بإضافتهم إلى الله تعالى وذلك مستلزم لتعظيمه-ﷺ- بما يصل إليه منهم من حيث إن العظيم لا يصدر منه إلا عظيم، ثم فيه التنبيه على كثرتهم وأن الصلاة من هذا الجمع الكثير الذى لا يحيط بمنتهاه غير خالقه واصلة إليه-ﷺ- على مر الأيام

---

[1] الآية ٥٦ سورة الأحزاب.

والدهور مع تجددها كل وقت وحين، وهذا أبلغ تعظيم وأنهاه وأشمله وأكمله وأزكاه(١).

والآية الكريمة إخبار من الله تعالى بمنزلة عبده ونبيه فى الملأ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلى عليه(٢).

وقد تعددت أقوال العلماء فى المراد بصلاة الله على نبيه-ﷺ- وحسبى ما اشتهر منها.

١- صلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة: الدعاء.. وهذا القول ذكره أكثر العلماء.

٢- صلاة الله: مغفرته، وصلاة الملائكة الاستغفار.. قاله مقاتل.

٣- صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

٤- أن الصلاة بمعنى البركة.. قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن الله وملائكته يباركون على النبى-ﷺ- وارتضى هذا القول ابن جرير(٣).

٥- ثم قول آخر: هو تعظيمه فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه. وإبقاء العمل بشريعته، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين الشهود(٤).

وجاء الأمر فى الآية للمؤمنين بالصلاة على النبى-ﷺ- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**.

والصلاة المأمور بها- فى الآية- هى الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهى ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه، وإرادة تكريمه وتقريبه، فهى

---

(١) روح المعانى ٧٥/٢٢، ٧٦.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٥١٤/٣.

(٣) انظر جامع البيان ٣١/٢٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/٤، فتح القدير ٣٠١/٤.

(٤) روح المعانى ٧٦/٢٢.

تتضمن الخبر والطلب، وسمى هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه-ﷺ- لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلى عليه والإشادة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى، فقد تضمنت الخبر والطلب.

الثانى: أن ذلك سمى منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلى عليه-ﷺ- فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه- سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به[1].

وقد علم الرسول الكريم-ﷺ- الصحابة رضوان الله عليهم كيف يصلون عليه.

فى صحيح مسلم عن كعب بن عجرة-رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله-ﷺ- فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك؟ قال: قولوا "**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**"[2].

إن الصحابة لما سمعوا الأمر بالصلاة بعد سماع أن الله عز وجل وملائكته عليهم السلام يصلون عليه-ﷺ- وفهموا أن الصلاة منه عز وجل ومن ملائكته عليه، نوع من تعظيم لائق بشأن ذلك النبى الكريم عليه من الله أفضل الصلاة وأكمل التسليم، لم يدروا ما اللائق منهم من كيفيات تعظيم ذلك الجناب وسيد ذوى الألباب-ﷺ- صلاة وسلاماً يستغرقان الحساب، فسألوا عن كيفية ذلك التعظيم فأرشدهم عليه الصلاة والسلام إلى ما علم أنه أولى أنواعه وهو بهم رؤف رحيم فقال-ﷺ- قولوا "**اللهم صل على محمد**" إلى آخر ما فى الرواية الصحيحة. وفيه إيماء إلى أنكم عاجزون عن التعظيم اللائق بى فاطلبوه من الله عز وجل لى. ومن

---

[1] جلاء الأفهام فى الصلاة على خير الأنام لابن القيم ٨٠.

[2] رواه مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة على النبى بعد التشهد ٣٠٥/١.

هنا يعلم أن الآتى بما أمر به من طلب الصلاة له-ﷺ- عز وجل آت بأعظم أنواع التعظيم لتضمنه الإقرار بالعجز عن التعظيم اللائق... ولما أمرنا الله تعالى بالصلاة على نبيه-ﷺ- لم نبلغ معرفة فضلها ولم ندرك حقيقة مراد الله تعالى فيه، فأحلنا ذلك إلى الله عز وجل، فقلنا: اللهم صل أنت على رسولك لأنك أعلم بما يليق به، وبما أردته له-ﷺ-[1].

---

[1] روح المعانى ٧٨/٢٢.

التكريم بوجوب الطاعة والإقتداء به

جاء الأمر بطاعة الرسول-ﷺ- صريحاً فى آيات كثيرة، والسر فى ذلك أن الطاعة والانقياد أسمى دليل عملى على الإيمان به والمحبة له-ﷺ-.

وأساليب القرآن المجيد متنوعة فى الدعوة إلى الطاعة والانقياد:

١- أسلوب الأمر:

من أساليب القرآن المجيد فى الدعوة إلى طاعة الرسول-ﷺ- أسلوب الأمر الصريح. وهو كثير فى القرآن العظيم، وكثيراً ما يقرن القرآن بين طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم يقول تعالى ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[١]. ﴿**قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾[٢].

ومن الآيات التى أفردت الأمر بطاعة الرسول-ﷺ- قول الله تعالى ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٣].

وهكذا نجد الأمر جاء صريحاً فى وجوب الطاعة.

قال السمرقندى: يقال: أطيعوا الله فى فرائضه والرسول فى سنته، وقيل: أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم، ويقال: أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية، والنبى بالشهادة له بالنبوة[٤].

أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله-ﷺ- وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه-ﷺ- أوتى

---

(١) الآية ١٣٢ سورة آل عمران.

(٢) الآية ٣٢ سورة آل عمران.

(٣) الآية ٥٦ سورة النور.

(٤) الشفا للقاضى عياض ٦/٢.

الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً[1] بل حذف الفعل وجعل طاعته من ضمن طاعة الرسول إيذانا بأنهم يطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجب طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة[2].

وليس هذا فحسب أن يأمر الله بطاعة رسوله، بل جعل الحق سبحانه طاعة الرسول هى نفسها طاعة الله جل وعز.. قال الله تعالى ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[3].

وفى صحيح الحديث يقول-ﷺ- "**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**"[4].

وهكذا!! نجد القرآن المجيد يوجب الطاعة المطلقة لرسول الله-ﷺ- لأن المعصوم لا ينطق عن الهوى، وإنما يبلغ ما يوحى إليه من ربه، ومن ثم لا يقول إلا حقاً.

٢- أسلوب النداء:

وهو أسلوب فذ فريد فى التربية حيث جاء بأحب وصف وهو الإيمان وهو نداء تكريم بأجل وصف ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ ويأتى بعد النداء ما يؤمر به أو ينهى عنه, وهذا النداء تذكير بمقتضى ما يجب.

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" الآية ٥٩ سورة النساء.

[2] ابن القيم "أعلام الموقعين" ٤٨/١.

[3] الآية ٨٠ سورة النساء.

[4] رواه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ١٤١٦/٣.

ورضى الله عن ابن مسعود إذ يقول: إذا سمعت الله تعالى يقول ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه[1].

أما الآيات الكريمة التى جاءت بهذا النداء الجليل فأذكر منها على سبيل المثال.

يقول ربنا جل جلاله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[2].

ويقول جل ذكره ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ**﴾[3].

ويقول جل ثناؤه ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾[4].

وهكذا جاءت الآيات بالنداء الذى أعقبه الأمر بالطاعة والانقياد.

٣- جعل القرآن محبة الله فى اتباع الرسول -ﷺ-.

يقول جل وعز ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[5].

قال الزجاج: معناه أن تقصدوا طاعته, فافعلوا ما أمركم به,إذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما, ورضاه بما أمر, ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته, ويقال: الحب من الله عصمة وتوفيق, ومن العباد طاعة.. ومحبة العبد لله

---

[1] تفسر القرآن العظيم ٢/ ٤ .

[2] الآية ٥٩ سورة النساء .

[3] الآية ٢٠, ٢١ سورة الأنفال .

[4] الآية ٣٣ سورة محمد .

[5] الآية ٣١ سورة آل عمران .

تعظيمه له وهيبته منه, ومحبة الله له رحمته له وإرادته الجميل له, وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه[1].

والآية الكريمة – كما يقول ابن كثير – حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية, فإنه كاذب فى دعواه فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله.. قال الحسن وغيره: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية[2].

٤- أسلوب التحذير :

حذر القرآن المجيد من مخالفة أمر الرسول الكريم, لأن مخالفة أمره تنذر بسوء العاقبة والمآل, قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[3].

ذكر ابن العربى: أن رجلاً أتى الإمام مالكاً فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ فقال: من ذى الحليفة من حيث أحرم رسول الله –ﷺ– فقال: إنى أريد أن أحرم من المسجد, فقال – أى الإمام مالك– لا تفعل, قال: إنى أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر, قال: لاتفعل فإنى أخشى عليك الفتنة, قال: وأى فتنة فى هذا؟ إنما هى أميال أزيدها, قال: وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله –ﷺ–: إنى سمعت الله تعالى يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[4].

---

(١) الشفا ٢/ ٩, ١٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١/ ٣١٦ .

(٣) الآية ٦٣ سورة النور .

(٤) انظر أحكام القرآن ٣/ ١٤١٣ .

ومعنى الآية: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول -ﷺ- ﴿**أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾ فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿**أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك[١].

قال ابن الحاجب: عدى يخالفون بعن لما فى المخالفة من معنى التباعد والحيد, كأنه قيل: الذين يحيدون عن أمره بالمخالفة, وهو أبلغ من أن يقال: يخالفون أمره.. وقيل "**عن**" بمعنى بعد, والمعنى يقع خلافهم بعد أمره كما تقول: كان المطر عن ريح, وأطعمته عن جوع.. وقوله **أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾ أى بلاء ومحنة فى الدنيا كما روى عن مجاهد, وعن ابن عباس الفتنة القتل, وقيل: بتسليط سلطان جائر, "أو عذاب أليم" فى الآخرة, وقيل: فى الدنيا.. وإعادة الفعل للوجوب, فإنه تعالى أوجب فيها على مخالف الأمر الحذر من العذاب, وذلك تهديد على مخالفة الأمر, وهو دليل كون الأمر للوجوب إذ لا تهديد على ترك غير الواجب, وأيضاً بناء حكم الحذر عن العذاب إلى المخالف يقتضى أن يكون حذره عنه من حيث المخالفة, وذلك إنما يكون إذا أفضى إلى العذاب- وإشعار الآية بوجوب الحذر غير خاف بقرينة ورودها فى معرض الوعيد بتوقع إصابة العذاب من المخالفة[٢].

وصدق الله القائل: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾[٣].

٥- نفى الإيمان عن من لم يحكم رسول الله ويرضى بحكمه :

---

[١] تفسير القرآن العظيم ٣/٣١٩ .

[٢] انظر روح المعانى ١٨/ ٢٢٦, ٢٢٧ .

[٣] الآية ٩٢سورة المائدة .

يقول ربنا جل ثناؤه ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾[1].

من مقتضيات الإيمان بالنبى -ﷺ- أن يُحكِم المسلمون رسول الله فى أى أمر يختلفون فيه, وأى قضاء قضى به وجب الإذعان له والرضا والتسليم به, وليس هذا فحسب بل يكون الرضا والتسليم بلا أدنى ريبة, بحيث لا يكون فى النفس أدنى شائبة لقضاء رسول الله والآية الكريمة لها سبب نزول:

١- روى البخارى فى صحيحه عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار فى شريج[2] من الحرة, فقال النبى -ﷺ- "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك" فقال الأنصارى يا رسول الله, أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجهه ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الجدر, ثم أرسل الماء إلى جارك, واستوعى[3] النبى -ﷺ- للزبير حقه فى صريح الحكم حين أحفظه الأنصارى[4] وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة, قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾[5].

---

[1] الآية ٦٥ سورة النساء .

[2] الشريج – مسيل الماء من الحرة إلى السهل .

[3] أى استوفى .

[4] أى أغضبه .

[5] رواه البخارى كتاب التفسير – باب "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم" ٨/ ٣١٤ .

٢- ثم سبب آخر ذكره الإمام الطبرى عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**... قال: هذا الرجل اليهودى والرجل المسلم اللذان تحاكما إلى كعب ابن الأشرف .

ورجح ابن جرير هذا القول, وقال: إنه أولى بالصواب, لأن قوله ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ فى سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾ ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم, فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى.. ثم قال: وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت فى قصة المحتكمين إلى الطاغوت, ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصارى[1] واتفق فى ترجيح ذلك مع الطبرى ابن العربى, وصرح بذلك فى قوله: اختار الطبرى أن يكون نزول الآية فى المنافق واليهودى, ثم تتناول بعمومها قصة الزبير, وهو الصحيح.. وكل من اتهم رسول الله -ﷺ- فى الحكم فهو كافر, لكن الأنصارى زل زلة فأعرض عنه النبى -ﷺ-, وأقال عثرته لعلمه بصحة يقينه, وأنها كانت فلتة, وليس ذلك لأحد بعد النبى -ﷺ-, وكل من لم يرض بحكم الحاكم بعده فهو عاص آثم[2].

ولعل الذى دعا إلى ترجيح السبب الثانى أن قول الزبير "فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك" ليست جازمة قاطعة وإنما محتملة..

وسواء أكان السبب موقف الزبير مع الأنصارى أو غيره, فإن القاعدة العامة المتفق عليها بين العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب. والذى يعنينا فى هذا المقام ما تدل عليه الآية الكريمة .

أ- وجوب أن يكون الرسول هو الحكم فى كل أمر يكون موضع نزاع .

---

(١) جامع البيان ٨/ ٥٢٤ .

(٢) أحكام القرآن١/ ٤٥٦ وممن رجح ذلك الفخر الرازى أيضاً ١٠/١٦٣.

ب- التسليم المطلق بكل حكم يحكم به الرسول -ﷺ-.

ج- أن يكون قبول هذا بكل الرضا واليقين, بحيث لا يكون فى النفس أثر شائبة منه .

فقوله سبحانه **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾** أى لا يكونون مؤمنين حتى يحكموك وقيل: "**لا**" رد لزعمهم أنهم مؤمنون, والمعنى ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا, وهم يخالفون حكمك.. "فيما شجر بينهم" أى فيما اختلفوا فيه. والحرج الشك والضيق "ويسلموا تسليماً" لما أمرتهم به فلا يعارضونك, بل يسلموا لحكمك[1].

والآية الكريمة صدرت بالقسم **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ﴾** حيث أقسم الله سبحانه بنفسه على نفى الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسول الله فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل, ولم يكتف فى إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه, ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً, وينقادوا انقياداً, قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾**[2].

فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه سبحانه وقضاء رسوله –ﷺ– ومن تخير بعد ذلك فقد ضل ضلالاً مبيناً[3].

---

(1) انظر زاد المسير ٢/ ١٢٤ .

(2) الآية ٣٦ سورة الأحزاب .

(3) ابن القيم "أعلام الموقعين" ١/ ٥١ .

المصــادر

* القرآن العظيم:
١. أحكام القرآن لأبى بكر بن العربى ط دار المعرفة بيروت.
٢. أسباب نزول القرآن للواحدى دار الكتب العلمية.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود العمارى دار إحياء التراث العربى.
٤. أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم دار الجيل- بيروت.
٥. التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور- الدار التونسية.
٦. تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن كثير ط الثانية دار المعرفة.
٧. جامع البيان. لابن جرير الطبرى- دار المعارف.
٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى دار الكتاب العربى.
٩. دلائل النبوه لأبى نعيم الأصبهانى ط الثانية دار النفائس.
١٠. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور- للسيوطى دار الفكر.
١١. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى- للألوسى دار إحياء التراث العربى.
١٢. الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام. عبدالرحمن بن عبدالله السهيلى- دار المعرفة.
١٣. زاد المسير فى علم التفسير. لابن الجوزى ط المكتب الإسلامى دمشق.
١٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض اليحصبى دار الفيحاء.
١٥. صحيح البخارى للإمام محمد بن إسماعيل البخارى- دار الحديث.
١٦. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى- دار إحياء التراث العربى.

١٧. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى التفسير – للشوكانى– دار الفكر.
١٨. فتح البارى بشرح صحيح البخارى– لابن حجر العسقلانى– دار الحديث.
١٩. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية– سليمان الجمل دار إحياء التراث العربى.
٢٠. فيض القدير – للمناوى– دار الفكر.
٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل– للزمخشرى– دار المعرفة– بيروت.
٢٢. المستدرك على الصحيحين لأبى عبدالله الحاكم– دار الكتب العلمية.
٢٣. هداية الحيارى– لابن القيم الجوزية– دار الكتب العلمية.

الخاتمــة

قطوف من رياض القرآن المجيد ... وقطرة من ينابيع التكريم الإلهى التى لا يجف نبعها ولا تفيض .. وقبس من النور المتألق الذى لا يخبو سناه ولا يبيد. أسجيها إلى صاحب المقام المحمود والحوض المورود يوم يقف الخلق جميعاً بين يدى ذو العرش المجيد الفعال لما يريد ..

إلى صاحب المقام الأجل سيد ولد آدم الذى حباه ربه بفضائل لم يحظ بها نبى مرسل ولا ملك مقرب .. ومن ثم "لو وقف الخلق جميعا وأوتوا من قوة البيان وفصاحة اللسان فلن يفوا بصورة واحدة من صور التكريم والإجلال لأحب خلق الله إلى الله، ولو أن الأنفس مذ يراها مليكها قضت عمرها فى المدح والثناء لوقفت فى تبتل وخشوع بكل إجلال وإكبار خاضعة أمام قول الحق جل ذكره ﴿**إِنَّ اللَّـهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾.

وحسب سيد الأولين والآخرين تكريما وإجلالاً ذكره فى الملأ الأعلى إلى أن تنفطر السماء وتتكدر النجوم وتبدل الأرض غير الأرض والسموات ويقف الخلق بين يدى الحق ويكون الرسول ﷺ عليهم شهيداً.

وحسبه قول ربه ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾ وإذا كان الحق سيعطيه حتى يرضيه فمن من البشر يستطيع أن يفى ولو بجزء من حقه ..

لكن "حسبنا القرآن بياناً وقد سما بصاحب الخلق العظيم مكاناً علياً .. إنه المكان اللائق الذى ارتضاه له من أرسله هادياً وبشيراً وسراجاً منيرا ..

وما ذكرته من صور التكريم والإجلال قطرة من فيض نداه، وقبس من نور هداه .. أسأل الله أن تكون لنا نوراً يوم نلقاه وأن يسقنا من حوض نبيه ﷺ بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً وصلى الله وسلم وبارك على الهادى البشير والسراج المنير سيدنا محمد ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات